التجليات الصوفية في شعر رعد عبد القادر

م. م. فاطمة حسن اعذار
الجامعة المستنصرية / كلية الآداب

Sufi Manifestations in the Poetry of Raad Abdul Qadir

Assist. Lect. Fatima Hassan Idar
Mustansiriyah University- College of Arts

المستخلص

أنّ الحديث عن الصوفية حديثا مبدأه عالم الخيال والانطلاق هو الهروب من واقع الحياة الى عالم يبتعد عن الفطرة فهو عالم تلتقي به الذات الدنيا بالذات العليا، عالم تتشكل فيه الالفاظ ، الدلالات ،والصورة الخيالية التي لا يستطيع اي المتلقي الكشف عنها الا في رحلته وفق المراتب الصوفية التي ذكرها ابن العربي وهي المكاشفة والتجلي المشاهدة والانخطاف

ومن هنا لا يسعني الى ان انتقل مع ابن العربي بحثا عن الحياة الصوفية في بعض ابياته الشعرية إذ ذكر معنى الوجود الصوفي وابحر في عالم الخيال والاحلام فقال : -

ما لمجنون عامر في هواه غير شكوى البعاد والاغتراب
وأنا ضده ...فإن حبيبي في خيالي ... فما زال في اقتراب
فحبيبي مني ، وفي ،وعندي فلماذا أقول ما بي وما بي

هذه الابيات تصور بعض التقلبات النفسية التي يعيشها الصوفي ،في وصفه للانتقال الروحي في عالم الواقع والخيال ممثلا الاتصال والانفصال

الكلمات الرئيسة : التجلي ، الصوفية ، الاتصال ولانفصال ، المشاهدة ، الكرامة ، الاتحاد

Abstract

Talking about Sufism is a recent concept whose principle is the world of imagination and departure, to escape from the reality of life to a world away from instinct. A world in which the lower self meets the higher self, a world in which words, connotations, and imaginary images are formed that no recipient can reveal except through his journey according to the mystical ranks mentioned by Ibn al-Arabi, which are disclosure, manifestation, viewing and ecstasy.

Hence, I cannot but move with Ibn al-Arabi in search of the Sufi life in some of his poetic verses, as he mentions the meaning of Sufi existence and navigates in the world of imagination and dreams saying :

What does a crazy man living in his whims have but to complain about separation and alienation ؟

And I'm against him... my lover is in my imagination... still getting closer

My beloved is from me, and in me, and with me, so why should I say what is in me and what is in me؟

These verses depict some of the psychological fluctuations experienced by the Sufi, describing the spiritual transition in the world of reality and imagination, represented by connection and separation.

Keywords: Manifestation, Sufism, Connection and Separation, Witnessing, Dignity and Union

مدلول الصوفية ما بين اللغوي والغربي :

عند الحديث عن المعاني اللغوية والاصطلاحية للمصطلح الصوفي لابد من البحث بداية في خزانة التراث الصوفي للكشف عن المدلول الاصح للصوفية ويتصدر الحنفي في معجمه المصطلحات الصوفية إذا يعرفه فقال : ((وانما سموا الصوفية لتقرب اوصافهم من اوصاف اهل الصفة الذين كانوا على عهد الرسول محمد(صلى الله عليه وسلم))). [١]

اما ابن تيمية ورأيه في المعنى اللغوي للصوفية فيقول ((وهؤلاء نسبوا الى اللبسة الظاهرة، وهي لباس الصوف فقيل في احدهم (صوفي) وليس طريقهم مقيدا بلباس الصوف ولا هم اوجبوا ذلك وعلقوا الامر به، لكن اضافوا اليه لكونه ظاهر الحال)).[2]

ونجد علماء اهل التصوف يعرفون التصوف بتعريفات مختلفة تبعا للرؤية التي يخضع اليها العالم وهو في تجربته الصوفية، ويؤطرها وفقا الى المنازل والمراتب العليا التي يصل بها الى الذات الالهية وهذا العالم ومنازله هو الا وجود في عالم الوجود الذي ينصهر فيه انصهاراً قلبيا وروحيا أو غياباً تاماً عن الوعي الوجودي لدى الانسان العادي وبهذا يعرفها السقطي ويعطي معانيها الاصطلاحية لمعنى الصوفية بانه ((اسم لثلاث معان وهو الذي لا يطفئ نور معرفته ورعه، ولا يتكلم بباطن في علم ينقضه عليه ظاهر الكتاب او السنة، ولا تحمله الكرامات على هتك استار معارف الله)). [3]

اما الجنيد فيعرفها بانها ((ما اخذ التصوف على القيل والقال، لكن عن الجوع، وترك الدنيا' وقطع المألوفات والمستحسنات اي استعمال كل خلق سيء وترك كل خلق دنئ)). [4]

وأورد التستري تعريفا اخر للصوفية بانها ((الصوفي من الصفات الكدر، وامتلأ من الفكر، وانقطع الى الله من البشر ، واستوى عنده الذهب والمدر)). [5]

ونظر الكلاباذي الى الصوفيةفقال بأنهم : ((ومن لبسهم وزيهم سموا صوفية لأنهم لم يلبسوا لحظوظ النفس ما لان مسَه وحسن منظره وإنما لبسوا لستر العورة، فنجزوا بالخشن من الشعر والغليظ من التصوف)). [6]

ولعل مصطلح الصوفية لا يختلف كثيرا في اللغات الاوربية عنه في اللغات العربية ونجد المستشرق رينالد نيكولسون يعرف لفظة (الصوفي) بانه ((مدلول ديني خاص' وقد قيدها الاستعمال بالصوفية الذين يدينوا بالدين الاسلامي)). [7]

ان محاولة التقليب والكشف في المدلول الاصطلاحي عند المشارقة يخضع الى الرؤية العامة لديهم التي هي منظورها التجربة الدينية للمجتمع الاسلامي ' وخصوا بذلك التجربة الصوفية ومدى ارتباطها بالدين الاسلامي.

سيرة الشاعر الصوفي رعد عبد القادر:-

قبل البدء في الحديث عن سيرة الشاعر الصوفي لابد ان نذكر أهم ميزة يتحلى بها الشاعر، أنه من الشعراء المحدثين الذين جعلوا من مفهوم الحداثة صورة انعكاسية ومرايا مختلفة تعكس الافكار والواقع والانتقال به من عالم إلى عالم آخر لذلك من الطبيعي أن تخضع نصوصه الشعرية الى الحياة اليومية فهي وسيلة للكشف عن المرجعيات التي يستسقي الشاعر منها النص وهذه المرجعيات تختلف من شاعر الى آخر' وقد استقى رعد عبد القادر مرجعتيه الخاصة من الصوفية غيرها من المرجعيات ونحن بصدد دراسة المرجعية الصوفية ؛ لابد معرفة السيرة الذاتية للشاعر رعد عبد القادر للكشف عن فحوى الانتقال الصوفي في نصوصه الشعرية فهو شاعر من جيل السبعينات ولد سنة ١٩٥٣ وتوفى سنة ٢٠٠٣ ، ويعد من

الشعراء المجددين لقصيدة النثر وتلاعب في الالفاظ والمعاني حتى يصل بالمتلقي إلى متاهة عقلية يحاول فيها تفكيك بنى النص داخليا وخارجيا فهو لا يريد للمتلقي ان يأخذ الفكرة جاهزة على طبق من فضة حتى وأن كانت اربع مجموعات شعرية لكنه في كل مجموعة يجعلك تسلك طريقا يختلف في طريقة تفكيك النص وتجسيد الشخصيات مختلفة فتارة تجد يسلك طريق الشاعر الاسطوري والذي نجده في حجر العنقاء ، اذ يقول فيها:

قال تعلق بي .. وتعلقتُ

انتفضت قامتهُ.....

وازاح بأطراف اصابعهِ السور.

قال ارم بخواتيمك والاغصان

يتشبث بالحجر – بالحجر

الصوت يرشُ مياه الغيبة

امسح عن جسدي الماء

اخرج بالحجر المسحور. (8)

وقد تجد الشاعر يسلك طريق القاص السردي في احدى قصائد " اوبرا الاميرة الضائعة " التي قال فيها:

وفي البحث كنت اطرق ابواب الليل والنهار

ممرات طويلة مظلمة دخلتها،

وساحات مضيئة وصلت إليها

أبصرتُ المفتاح مضيئاً

الوقت ضحى

مددتُ كفي وأمسكتُ بالمضيء

والوقت ضحى

وعيناي تمتلئان بظلال لامعة

وأشعة سحرية

ودارتُ بي الافاق

واظلمت الدنيا من حولي

فلم أعد ابصر كفي وهما تحملان المفتاح

وجدتُ المفتاح ويدي وفقدتُ عيني. (9)

وبالتالي فالشاعر يجسد شخصية الصوفي التي ينتقل فيها من عالم الواقع إلى عالم الخيال من خلال تأطير يومي لحياته أو من خلال رموز دينية ليجعل المتلقي في حالة غيبوبة تامة عن حياته الخاصة وعن مخزونه الثقافي وذلك عندما مثل الصراع الديني والنفسي وبما اضافت اليه الثورة الحسينية للأمام الحسين (عليه السلام) ورؤيته الخاصة حيث وظف التجربة اليومية وتأطيرها في صراع التجربة الحسينية، إذ قال :

واكتب الشمس المطعونة تبحث عن رأس مقطوع

والكون سرير مفجوع والانثى ارض نائحة

والذكرى زمن مخلوع

اقرع باب الطوفان، اقرع

واهتف موسيقى للطفل العائم في افلاكي. (10)

شكلت هذه الابيات تناص مع واقعة الطف وخصوصا فكرة ارتفاع الرأس على الرمح، وفضلا عن الاتصال والانفصال في العالم الصوفي الذي شكلته التجربة

الصوفية وهو ينتقل في مكان الطف وقد وصف انتقاله عندما قال : (رأس مقطوع ، ارض نائحة، الذكرى ، افلاكي ، باب الطوفان).

وقد عاش رعد عبد القادر الاغتراب العقلي وهو يحاول ان يجعل الواقع لعبة شطرنج تخضع الى قواعد عقلية لها بداية وهي الاتصال بالواقع السياسي الضعيف (المبتذل) إذ قال :

بقرة على ظهرها رجل في يده دورق وفي الشمال سحابة،
سحابة على شكل أمرأه والرجل ينام في برج المرأة على شكل بندول؟

زمن من زمن وسفر من سفر. (11)

وهنا مثل رعد عبد القادر في ابياته ذات الشكل الهندسي (البندول) وعدد اضلاعه ذات التسميات المختلفة والتي اخضعها الى التقلبات الاجتماعية والسياسية في زمن غير مستقر وسفر غير محدد، وهذا ما اشارت اليه علامة الاستفهام في احدى اضلاعه ولا يؤدي هذا الرسم بالضرورة ما اشار اليه شكل البندول.

فالتطرق للاتصال الروحاني ما هو الا وسيلة للانفصال الروحاني الذي يصل الى درجة الالتقاء بالذات الالهية

وكان تمثيل الشاعر مبنيا وفق المقامات والمنازل أو المراتب الروحية ويصفها بقوله :

ماذا يبقى من اسئلة القفص؟ ما ذا يبقى ؟
فأجابني الصياد وكنت انا في قفصي
أشتعل تحتي النار
وضع القدر المملوء بدء مع عصافير فوق النار

ورأيت ــ وكنت انا في قفصي ــ ظلي

تلتف عليه الافعى وتحاول قتلي

والصياد يحرك ماء القدر ويغلي

ويقول سيسقط هذا الطائر محترقا أو تلدغه الافعى

صحت ــوكنت انا في قفصي رب

فإذا قفصي يسعى

وأنا اسعى

والصياد يراني منفلتا من اسري. (12)

لقد اعطى في هذه القصيدة الصورة المتكاملة عن المعنى المقصود المتمثل بالانفصال الروحاني وحاول الشاعر ان يصف حالة الموت المؤلم الذي مثلها وفق مراتب تشير الى انواع الموت :

فالمرتبة الاولى : ــ انفصال الروح عن جسد الطائر هو نفسه الشاعر فكلاهما يدعوان الى الحرية والتخلص من اي ظلم وجور وهنا القفص في العالم الواقعي تشير دلالته الى الحرية المنشودة عند الطائر ولدى الناس جميعا.

اما المرتبة الثانية : انفصال الروح عن جسد الطائر الذي حاول الهروب من القفص، لكنه يصطدم بالصياد قابض الارواح ليجعل روحه ترقص تحت قضبان القفص.

المرتبة الثالثة: ــانفصال الروح عن جسد الطائر والذي قتله القلق والخوف من النهاية الفظيعة التي لاقاها غيره من الطيور

تحت نيران القفص التي اشعلت ولعله هذ ما يوجد في العالم الواقعي المتمثل بالمعركة الهادئة الصامتة التي كانت تحت جدران (الاقفاص)، الواقع السياسي، والتي ماتزال الى الان في هذا الواقع.

و المرتبة الرابعة : هي انفصال الروح عن جسد الطائر عن طريق الافعى التي تلتف حوله لتقتله بسمها وهو يحاول التخلص منها وهذا يذكرنا ما تشير اليه النفس التي تدعو الى الحرية ودفع الظلم في واقعها الحياتي وينسى سمه، أي نفسه، التي تقتله أولاً وقد أشار القرآن بقوله تعالى ((وما أبرئ نفسي أن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي لغفور رحيم)). [13]

ومن هذه المراحل الاربعة للموت نجد أن الشاعر قد وفق في طرح رؤيته للموت، اذ تشكل مرحلة الموت الاولى تجربة صوفية مثلت لدى الشاعر الاتصال الروحاني، ولكن مرحلة الموت هي تجربة واقعية تمثل الانفصال الروحاني.

مراحل الوصول والارتقاء الى الذات الالهية (الفناء):

إن التجربة الصوفية وما تقود اليه من معرفة لا تتخذ طريقا واحداً رتيباً، طريق السالك اوله كآخره [14].

فقد تناول ابن العربي طريق الالتقاء بالذات الالهية ويرى انها الوصول الى حالة الفناء التي يقصد بها، ما نصه ((يفقد الوجود تعيناته وتحديداته وقيوده ويعود الى اصله، الا تحديد والا تعيين)). [15]

وفي عدم التحديد والتعيين للفناء يصل بنا ابن العربي الى معرفة المطلق الذي يدرك مجسدا بصرا ولا عقلا وهو (الله) سبحانه وتعالى، المتحكم بكل الخلق البشري والوحيد المتحكم بكل شيء، فضلا عن الرؤية الواقعية والحلمية ويجب أن نفرق بين مصطلح الرؤيا والرؤية . فالرؤيا هي ((معرفة اشراقية بعيدة عن سلطة

العقل ـــــــــــ خاضعة لسلطة الشعور المتحكم بالباطن ومعرفته ..وهي تكون مشاهدة في حالة النوم ....)) [١٦] أما الرؤية فهي ((تصور ومشاهدة عند اليقظة يستنتجه الرائي..... وهي تكون معرفة عقلية)) [١٧]، وقد أشار اليها سبحانه وتعالى في نصوصه المقدسة ((إذ نادى ربك موسى أن أئتِ القوم الظالمين)) [١٨]، وهذه الآية تشير الى الرؤية الواقعية التي نادى بها رب العالمين موسى (عليه السلام)، وما فعل الظالمون في الواقع الحياتي.

وتظهر الرؤية الحلمية في النص القرآني في قوله تعالى ((إذ قال يوسف لأبيه يا أبت اني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين)). [19]

وبعد تحليل النص القرآني نجد ان الرؤيا الحلمية ما هي الا وسيلة تواصل بين العبد وربه ومن هنا نقول ان الرؤيا تصل عن طريق الفناء الممثل بالتجربة الروحانية بين العبد وربه، ويعرف الفناء من المنظور الصوفي بانه ((تجربة ذاتية يفقد فيها الصوفي الشعور بالذات وبالآخرين وبالعالم الخارجي ويغيب عنه وعيه ويفقد احساسه بجوارحه ويكون في حالة استغراق كامل في الله)). [20]

ويطرح ابن عربي اربع مراحل او درجات للفناء وهي :-

١ – المكاشفة : وهي ((حضور القلب بنعت البيان ، فيكشف له ما يستتر على الفهم كأنه رأى عين)). [٢١]

٢ – التجلي : وهو ((إشراق أنوار إقبال الحق على قلوب المقبلين عليه، وقيل التجلي ما ينكشف للقلوب من أنوار
الغيوب)). [٢٢]

٣ – المشاهدة : وهي ((تعني المحاضرة و المداناة ، وقيل هي رؤية الحق ببصر القلب من غير شبهة ، كأنه راه

بالعين)). [٢٣]

٤ – الانخطاف: وهو ((الظاهرة الأكثر خصوصية وسموا في الحياة الداخلية / وهو الهبة اللدنية* الاولى وهو لا يتم بالإرادة، أو بالإعدادية، و أنما يحدث بغته بشكل مفاجئ، هبة لدنية من الله، وهو خاص بالأشخاص الكاملين وقد يحدث لغيرهم بالعمل والاعداد)). [٢٤]

أن هذه المراحل التي يرتقيها الصوفي تشكل حالة الانفصال والاتصال الروحاني الذي يصل إلى الرؤية الصوفية والتي ما هي إلا خلجات نفسية شكلتها الاضطرابات والتقلبات اليومية، وبذلك تكون الرؤية ليست حكرا على الصوفي و أنما رؤية عامة لدى الناس ورعد عبد القادر تأثر بها فقد دمج بين الرؤيتين، الرؤية الحداثية التي تمخضت عن الواقع الحياتي اليومي، والرؤية الصوفية، التي يحاول الوصول من خلالها إلى عالم الغيب وكيفية التعامل بها بمعرفته، وقد تمـــت على وفق وسائل اتصال مباشرة وغير مباشرة ومنها " الكائنات اللامنظورة ، اصوات ماورائية عاقلة، الهاتف ، وخواطر قلبية)). [٢٥]

محاور الصوفية وصولا للذات الالهية:

أن المحاور الثلاث (الشطح ، والاتحاد ، والكرامة) هي محاور تتخذ منحى اخر للوصول إلى الذات الالهية وهي عالم اللاوعي تشكل عند الشعراء فهم يصلون مرحلة السكر العقلي الذي قد نجده اليوم في مصر والذي يدعى بالمولد فهم لديهم حركات معينة يصلون بها الى الذات العليا على عكس الشعراء الذين جعلوا النصوص هي عربة وصولهم ومن هنا ننطلق في معرفة أول محور وهو الشطح الذي نجده يقسم في البداية إلى قسمين، فالقسم الاول بداية الشطح تحت سيطرة المحاور الثلاثة وهي (الوجد ، والاتحاد ، والسكر) أما القسم الثاني : يقع تحت

مفهوم اللاوعي للصوفي، كما وضحها محمد الراشد في كتابه (نظرية الحب والاتحاد)، إذ قال : ((إن الشطح يعتمد على عمق التجربة الصوفية ، ويفيد بأن الشطح ضرب من السقوط في اللاواعي أو الانحراف غير المقصود ، يمارسه الصوفي في لا وعيه عبر لحظات الانخطاف من ساحة الوعي)). (٢٦)

ويعرف الجرجاني الشطح بأنه ((عبارة عن كلمة عليها رائحة دعوته ودعوى ، وهو من زلات المحققين ، فأنه دعوى بحق يفصح بها العارف من غير إذن إلهي بطريق يشعر بالنباهة)). (٢٧)

ونجد من محاور الشطح الثلاثة ما يكشف أن الصوفي يخلق عالما صوفيا متكاملا إلى حد يكون فيه العبد ظاهر المعبود ويصبح باطن المعبود ظاهر العبد وهذا ما حصل للشاعر رعد عبد القادر في ديوانه اوبرا الاميرة الضائعة وفي قصيدته (حب) قال :

ورأيتُ الشمس – خاتم الله –
تفتح الطريق لي
المشاهدات تنتهي و الاسفار و تنتهي الكشوفات
الغريب .... يكتب العاشق
تعاليمه السبعة الأخيرة .
على سبع ورقات
وهو يتقدم للموت
فيرمي الورقات ...قلبه مفتون بالجمال
قلبه سبعة اجزاء .. يرمي الاجزاء السبعة
يغيب بهدوء

وتصبح الارض أميرة
تبحث عن عاشق قريب . (٢٨)

نجد ابيات الشاعر تتضمن معنى الشطح الصوفي إذ يمثل نفسه العاشق القريب من مالك السموات والارض حتى يفصل ويقسم السموات السبع إلى اجزاء التي تتداخل مع قلب عاشق مفتون بجمال الخالق وأرض اصبحت اميرة لتبحث عن عاشقها الصوفي رعد عبد القادر .

أما المحور الثاني فهو محور الاتحاد يعرفه هيفرو بأنه ((تصير ذاتين واحدة، ولا يكون إلا في العدد وهو الحال)). (٢٩)

ويبرز المحور في اوبرا الأميرة الضائعة ونجده في قصيدة " حلم الاعوام السبعة "اذا قال :

غنيتُ للمرايا
فخرجت من غنائي شمس
شمس واحدة
على وضوؤها تجمعت المرايا
واصبحت مرآة واحدة ..
فوجدتني اتقدم مفرداً . (٣٠)

في هذه الأبيات يستخدم الشاعر المرآة ليعبر عن طريقها عن الاتحاد الذاتي الذي حصل في معراجه الخيالي (بينه وبين الله)، فكانت المرآة التي تجمعت في مرآة واحدة وتقدم الشاعر نحوها.

والمحور الثالث الذي ذكره الحنفي هو السكر ويعرفه بأنه ((دهش يلحق سر المحب في مشاهدة جمال المحبوب فجأة، لان روحانية الانسان التي هي جوهر

العقل لما انجذبت إلى الجمال المحبوب، بعد ان شاع العقل عن النفس، وذل الحس عن المحسوس ، وألم بالباطن فرح ونشاط وهزة وانبساط لتباعده عن عالم التفرقة))[٣١].

تعد حالة السكر فقدان الوعي الخارجي، والابحار في الوعي الداخلي، وكأنه حجاب يفقد فيه العقل ويبقى فقط الاحساس الذي يصف المحبوب وصفا حسياً غير مرئياً للمعشوق، ومن هذا المنطلق ينطلق الشاعر في ابياته ليصف العشق الحسي الالهي سالكا مسلك الصوفي في العشق فقال :

وأتيتُ البحر وسلمتُ عليه

وناديته : أيها المرُ

يا عرق الأرض ... فهاج وماج

ورأيتُ الواحا تجرها احصنة البحر الهائجة ..

وشيئا فشيئاً ، رفعتني الرمال الزرق ..

كنتُ اصغي للمتفجرات اللامعة ...

رأيتُ الممرات الصخرية والتجاويف العميقة

والصخور التي تشبه الأجنحة

كنت لا أكتم صيحاتي التي تضيع في احتفالات الزرقة

ورأيتُ الاسماك التي تشبه النجوم والاشواك والاجراس والازهار ....

وقادني السلمون ، عبر الاف الاميال

إلى شهوته القاتلة ...

كان يطلق صغيراً لجوجاً

الصغير طريقهُ إلى الانثى .. وصل السلمون

وخفت الصوت وهدأت المعارك

ومات في لحظة الخلق

الجسد . (٣٢)

تصف الابيات مدى عشق الشاعر ورغبته القاتلة للقاء المعشوق حتى سيطر عليه عذاب الفراق ما كشفته دلالة الالفاظ في الابيات (البحر الهائج / الممرات الصخرية / المر ...) كلها تعطي معنى الفراق الذي يقتل الجسد، وأكد ذلك بقوله (ومات في لحظة الخلق ... الجسد) فدلالة الموت هي نهاية العشق التي تنهي لحظة الخلق.

أما المحور الأخير الكرامة وهي التي تمثل منحى آخر للصوفية، وهي لا تعتمد على التجربة الصوفية ومحاولة الكشف عنها كما في المعرفة والشطح، بل هي تجربة يجب سترها وعدم معرفة أي انسان بها لأن ((منبعها وحقيقتها تكمنان في الناحية الميتافيزيقية (الغيبية) ومن ثم لا تعتمد على النقد البشري في الدلالة على صحتها أو فسادها)). (٣٣)

وتمثل هذه الكرامة أعلى مراتب المعراج الصوفي التي ينال فيها التقرب والتفرد بالله وحده ويشاهد كل ما يطيب للنفس وتدعى عند الصوفيين بمرتبة العرفان (الحجب)، ويعرفها علماء أهل التصوف بأنها تمثل ((ظهورها على الاولياء جائز، والدليل أنه أمر موهوم العقل لا يؤدي حصوله إلى رفع أصل من الأصول، والفرق بين المعجزات والكرامات أن الانبياء عليهم السلام مأمورون بإظهار معجزاتهم، والولي يجب عليه ستر كراماته واخفاؤها)). (٣٤)

ويعرفها الجرجاني بأنها ((ظهور أمر خارق للعادة من قبل شخص غير مقارن لدعوى النبوة فما يكون مقرونا بالأيمان والعمل الصالح يكون استدراجا ، وما يكون مقرونا بدعوى النبوة يكون معجزة)). [٣٥]

وينظر الى الكرامة على انها هدف، وأن لكل هدف غاية وغاية الكرامة هنا ((صوير العلاقات الاجتماعية، وتعكس الرغبة في رأب التمزق داخل الصوفي في تبرير اغترابه وروح الهجران فيه .... والكرامة تعبير عن تفجر من قلب الكبت والقهر... تفجرا مشحونا بالرفض لكل ما هو مألوف، والثورة على الطبيعي)). [٣٦]

وعند تقليب اوراق ديوان اوبرا الأميرة الضائعة، وفي قصيدة (سؤال الأرض) نجد ثورة الشاعر اليومية واضحة فيها، إذ يقول:

من هذا الذي ايقظ كائناتي ؟

من هو الذي صوته يرعى في بريتي ؟

ما هذا الضباب الأخضر الخفيف الذي يتقدم

فيأتِ .. سأمنحه شمعداناتي وايقوناتي وموالدي ليأتِ،

ليأت مع الصمت ... سأمنحه مزاميري .. ليأت،

ليأت مع الظلمة ..سأمنحه صباحي ..

ليأت

من هذا الفاتن

الباحث

الحائر

الثائر

الساكن

الماسك

التارك

المقيم

المبتل

المبتلى

المتبتل

المرتل للجوهر العميق السامي

المرتفع ..؟ (٣٧)

نجد في هذه الابيات تصويرا كافيا لحالة الغضب والثورة والرفض التي تحملها النفس عند المعراج وهو يحاول تهدئتها عندما يكرر ((سأمنحك ما في الطبيعة المادية من (المزامير / الكهوف / المغامرات / الصبح بدل الظلمة)) وكل هذه الماديات هو تصوير طبيعي لحالة اجتماعية لنفس تبحث عن الفاتن (المعشوق للذات الإلهية) عند الشاعر الباحث ، الحائر ، الساكن ، المتيم وغيرها لعله يصل إلى العمق السامي وجوهره في العشق الالهي .

الخاتمة:

وفي نهاية الحديث عن الصوفية ومدى ارتقاء الشاعر في نصوصه الشعرية، ليصل إلى مرحلة اللقاء بالذات الالهية ونزع ذات الدنيا التي من الصعب نزع لباسها وارتداء لباس الصوفي، فالشاعر جعلها في ارتباط وثيق بالحداثة من خلال طرحها في نصوص صوفية تصور تجربة الصوفي، التي تشكل من هذا المنظور جوهر

العشق الالهي الذي يصل إليه المعشوق من خلال مراحل السكر، وفقدان الوعي، وتتمثل في مراحل الشطح (السكر / الاتحاد / الوجد)، ويصل الصوفي من خلال محور الكرامة إلى المراتب العليا في درجات الذات، وهي انصهار الذات الدنيا بالذات العليا، وينتهي بنا المطاف للقول انه متى وصل الصوفي إلى هذه المرحلة، يجب علينا، حسبما يصور رعد عبد القادر في بعض ابياته، ارجاعه من غيبوبة العقل إلى الواقع المرير وان أبى العودة، فهو خير من فقدانه الحياة الدنيوية.

الهوامش:

١. معجم المصطلحات الصوفية ، عبد المنعم الحنفي ، دار السيرة – بيروت ص ١٥٧
٢. الحقيقة و السراب : قراءة في البعد الصوفي عند ادونيس مجرعا وممارسة ، سفيان زدا دقة ، دار العربية العلوم ، بيروت ، الطبعة الاولى سنة ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م ص48
٣. معجم المصطلحات الصوفية ، الحنفي ، ص ١٣١ ، وينظر الثورة الروحية في الاسلام ، أبو علا عفيفي ، الهيئة المصرية للكتاب ، مكتبة السيرة ، سنة ٢٠١٣ ص 45
٤. الرسالة القشيرية للأمام أبو قاسم القشيري ، مطبعة مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر ١٤٠٩ – ١٩٨٩ ص 77 –76
٥. رسالة القشيرية ، القشيري ، ص 65
٦. التصوف الثورة الروحية في الاسلام ، أبو علا عفيفي ، ص 46
٧. الحقيقية والسراب في قراءة البعد الصوفي عند ادونيس مرجعا وممارسة ، سفيان زدا دقة ، دار العلوم ، بيروت ، الطبعة الاولى سنة ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م ص 48
٨. ديوان مرايا الاسئلة رعد عبد القادر ، مج ١ ،ص 37
٩. ديوان اوبرا الاميرة الضائعة ،مج ١ ،ص 84 – 83
١٠. ديوان وحدة الصانع ، قصيدة الوراق ، مج١ ،ص177
١١. ديوان الاطروحة الشعبية ، مج ١ ،ص363
١٢. ديوان وحدة الصانع ، قصيدة قاف – فاء – صاد ، ص 221 –220

١٣.سورة يوسف : آية 53
١٤.الحقيقة والسراب ، سفيان زدا دقة ، ص142
١٥.الصوفية والسوريالية ، ادونيس ، دار الساقي ، ص 41
١٦.التشكيل الشعري في اوبرا الاميرة الضائعة لرعد عبد القادر ، د. سهير صالح أبو جلود ، دار الفراهيدي للنشر والتوزيع ، ص 96
١٧.المصدر نفسه ، ص 96
١٨.سورة الشعراء : آية 10
١٩.سورة يوسف : آية 4
٢٠.الاغتراب في التراث الصوفية الاسلام ، عبد القادر موسى المحمدي ، ص ٨٢ ، وينظر التصوف الثورة الروحية ، ابو علا عفيفي ، ص46
٢١.معجم المصطلحات الصوفية ، الحنفي ، ص249
٢٢.المصدر نفسه ، ص 42 – 41
٢٣.المصدر نفسه ، ص 43
٢٤. صحيح البخاري ، كتاب العلم ، ص ٢٢ بقلم د. عبد الرزاق آيت ناجم
٢٥.الكرامة الصوفية والاسطورة والحلم القطاع اللاوعي في الذات العربية ، د. علي زبعور ، دار الاندلس ، ص 131
٢٦. –نظرية الحب والاتحاد في التصوف الاسلامي من الحب الالهي إلى دوامات الاتحاد المستحيل ، محمد الراشد ، مطبعة الاوائل ، ص 143
٢٧.التعريفات ، عبد القاهر الجرجاني ، ص 130
٢٨.ديوان اوبرا الاميرة الضائعة ، مج ١ ، ص 116
٢٩. –ديوان اوبرا الاميرة الضائعة ، قصيدة حلم الاعوام السبعة ، ص 93
٣٠.معجم المصطلحات الصوفية ، الحنفي ، ص 131
٣١.ديوان اوبرا الاميرة الضائعة ، قصيدة الحب ، مج ١ ، ص 116 – 115
٣٢. –الفكر الصوفي مقاربات في المصطلح والمنهج واللغة ، د. نضلة أحمد الجبوري ، دار اكتب البصائر ،ص153
٣٣.معجم المصطلحات الصوفية ، الحنفي، ص 224 – 223
٣٤.التعريفات الجرجاني ، ص 184
٣٥.ديوان اوبرا الاميرة الضائعة ، قصيد ة سؤال الارض ، مج ١ ،ص 118